﴿ فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾

وبعد سنوات من المضايقات في مكة المكرمة ، جاء الإذن الإلهي للنبي ﷺ بالهجرة إلىٰ المدينة ، وذات يوم حاول المشركون اغتياله!

لكن جبريل عليه السلام أتىٰ النبي ﷺ فقال له: لا تبتْ هذه الليلة علىٰ فراشك الذي كنتَ تبيتُ عليه ، قال: فلما كانت عتمةٌ من الليل ، اجتمعوا على بابه يرصدونه متىٰ ينام ، فيثبون عليه ، فلما رأىٰ رسول الله ﷺ مكانهم قال لعليّ بن أبي طالب: «نَمْ علىٰ فراشي ، وتَسَجَّ ببُردي هذا الحضرمي الأخضر فنَمْ فيه ، فإنه لن يخلُص إليك شيءٌ تكرهه منهم»[1] قال ابن عباس رضي الله عنهما:

وشرىٰ عليّ رضي الله عنه نفسه ، فلبس ثوب النبي ﷺ ، ثم نام مكانه: قال: وكان المشركون يرمون رسول الله ﷺ ، فجاء أبو بكر رضي الله عنه، وعليّ نائم ، قال: وأبو بكر يحسب أنه رسول الله ﷺ ، قال: فقال: يا نبي الله!.

فقال له عليّ: إن نبيّ الله قد انطلق نحو بئر ميمون فأدركْهُ ، قال: فانطلق أبو بكر فدخل معه الغار، قال: وجعل عليّ رضي الله عنه يُرمىٰ بالحجارة كما كان يُرمى نبيّ الله ﷺ وهو يتضوّر[2] ، وقد لفّ رأسه في الثوب لا يُخرجه حتىٰ أصبح ، ثم كشف عن رأسه ، فقالوا: إنك للئيم ، وكان صاحبك لا يتضوّر

---

(١) صحيح البخاري: ٣/ ١١٦.

(٢) التضوّر: التلوّي والصياح من وجع الضّرب أو الجوع.

ونحن نرميه وأنت تتضوّر ، وقد استنكرنا ذلك[1]!.

نعم يا روح الوجود يا أبا الزهراء:

هل في الوجود من ينام مكان إنسان مهدّد بالقتل في أي لحظة؟! وهل في العالم من يفدي غيره بنفسه؟ وأين تحدث أمثال تلك القصص العجيبة؟!.

إن هناك اعتبارات أخرىٰ ، فالصحابة الأماجد عرفوا قدْر رسول الله ﷺ وأيقنوا أن الله سبحانه قد أغلق المنافذ كلها إليه إلاّ منفذ حبيبه ﷺ ، لذلك فدوهُ بالأموال والأنفس ، وقدّموا بين يديه الغالي والنفيس ، وداروا في فلكه ، لذلك فازوا في الدنيا والآخرة ، ونالوا رضىٰ الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨].

﴿ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة: ٨].

كل هذا جعل الإمام علياً يُفاخر بمبيته علىٰ فراش الرسول ﷺ ليلة الهجرة ، كما روىٰ ذلك الإمام زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنهم: إن أوّل من شرىٰ نفسه ابتغاء رضوان الله جدّي عليّ بن أبي طالب ، ولذلك كان عليّ يقول:

وقيتُ بنفسي خير من وطئ الحصا ... ومن طاف بالبيت العتيق وبالحِجْرِ
رسول إلٰهٍ خاف أن يمكروا به ... فنجّاهُ ذو الطّولِ الإلٰهُ من المَكْرِ
وباتَ رسول الله في الغار آمناً ... موقًّىٰ وفي حفظ الإلٰه وفي سَتْرِ
وبتُّ أُراعيهم ولم يتّهمونني ... وقد وطّنْتُ نفسي علىٰ القتل والأسْرِ[2]

فصلاة الله وسلامه عليك يا روح الوجود وخاتم النبيين...

* * *

(١) المستدرك ، للحاكم النيسابوري: ٣/ ١٣٤.
(٢) المستدرك: ٣/ ٤.